حب أهل البيت وتهمتي الرفض والتشيع في علاقة الفقهاء الأربعة بمدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
خليل إبراهيم الأعسم
جامعة المثنى- كلية الآداب
abbas7mohammed@gmail.com

المقدمة:-

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

لقد وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع باعتباره يشكل مفصلا رئيسيا في الجدال القائم اليوم باعتبار ان مدرسة اهل البيت هي ينبوع النبوة ومهبط الوحي والرسالة الالهية المودعة لديهم والنور المهداة من الباري عزو جل للبشرية جمعاء وان المذاهب الاسلامية بكافة مللها ونحلها اخذت من معينهم الصافي ومشايخ مدارس اهل السنة والجماعة طلبة العلم من ائمة اهل البيت عليهم السلام وخصوصا الامام جعفر الصادق وهذا البحث يلقي الضوء على المشارب الفكرية لمدارس اهل السنة والجماعة واخذهم من مدرسة اهل البيت وتتلمذهم على يدي الامام جعفر الصادق حتى انهم اتهموا بالرفض والتشيع لحبهم لاهل البيت عليهم السلام بسبب ضغوط السلطات الحاكمة آنذاك.

أولاً:- الفقيه مالك بن أنس في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

يقول مالك بن أنس: (اختلفت إلى جعفر بن محمد زماناً فما كنت اراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله إلا على طهارة، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد والزهاد الذين يخشون الله)[1].

هذه شهادة مالك وانطباعاته عن شخصية الامام، ومالك هو رئيس مذهب من مذاهب الإسلام المعمول بها حتى الآن، وكان معاصراً للإمام الصادق ومن تلامذته.

والذي يعنينا من هذه الكلمة قوله: إنه كان من العلماء العباد والزهاد، الذين يخشون الله. فالعلم وحده غير نافع بدون عمل، فالإمام الصادق عالم عامل زاهد في الدنيا يخشى الله ويتبع أوامره، وإنما يخشى الله من عباده العلماء، ولم يمنعه زهده وتبتله عن الكسب وطلب المعاش من وجوهه المشروعة مع الإجمال في الطلب والاعتدال في الانفاق وأداء الحقوق، كما انه ينهى عن الكسل والبطالة، ويمقت صاحبها ويفضل رجل العمل ويشجعه عليه. كما دلت سيرته على ذلك. فالإمام مالك يكشف لنا انطباعاته عن الإمام الصادق عليه السلام، وما عرفه عنه وما اعتقده فيه، بأنه لا ينفك عن عبادة الله وتلاوة كتابه، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد والزهاد الذين يخشون الله، وناهيك بما وراء الخشية من الله والعمل بطاعته، فهي اعظم درجة وأرقى منزلة لدعاة الخير وأئمة الهدى، وهو فرع من الشجرة النبوية التي طاب غرسها وزكى ثمرها، قد التقى فيه شرف النسب وشرف النفس، وعزة الإيمان وقوة الحق، وهو من اهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً. نعم إنه من السابقين إلى الخير والداعين إليه رغبة بما وعد الله، فهو لم يأل جهداً في التوجيه الصحيح، وحرصه على هداية الأمة إلى سواء السبيل[٢].

ثانياً- الفقيه أبو حنيفة في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

وقد كشف لنا أبو حنيفة انطباعاته عن الإمام الصادق، وما عرفه عنه وأنه ما رأى أفقه منه بقوله:

وأوذوا في ذلك، مثل النسائي صاحب "السنن الكبرى" لأنه الف في فضل علي كتاباً ولم يؤلف في فضائل معاوية. وامثال هذا كثير لا يسع المقام حصره[٣].

ويضيف ابو حنيفة عن الامام جعفر الصادق بأنه قوي المناظرة شديد الجدل، يتسلح بكل الوسائل التي تعينه على الوصول إلى الفوز بالنتيجة في غالب الأحيان، كما وصفه الامام مالك بقوله: رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته. وفي رواية أنه قال: تالله لو قال: ان هذه الأسطوانة من ذهب لأقام الدليل القياسي على صحة قوله، وبالطبع ان مثله ينال في تلك المعارك نصيبه من الشهرة، على ان المنصور نظر إليه بعين التقدير والعناية تكريماً له ولأبناء قومه الذين طلع نجمهم في

ذلك العصر.

ومما يدلنا على قوة مناظرته ان المنصور انتدبه إلى مهمة عجزت قوته عن دفعها، وخانته حيلته في التخلص منها، وهي مسألة انتشار ذكر جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ومن الصعب على المنصور ان تصبح في الكوفة ومكة والمدينة وقم حلقات علمية هي اشبه شيء بفروع لمدرعة الامام جعفر بن محمد الصادق، وكانت تقرع سمعه أصوات شيوخ الكوفة، بكلمة يضطرب لها لبه، ويفقد عندها اتزانه، وهي قولهم في مناظرتهم: حدثني جعفر بن محمد الصادق، لذلك اضطر إلى جلب الامام من المدينة إلى الكوفة، وأراد من أبي حنيفة الذي عرف بقوة المناظرة وسرعة الجواب أن يهيء من مهمات المسائل، فيسأل الامام بها في مجلس عام، عساه ان يظفر بشيء ينال به غرض الحط من كرامة الامام الصادق، ولم يغب عن المنصور ما للإمام الصادق من المكانة العلمية.

قال الحسن بن زياد اللؤلؤي سمعت أبا حنيفة - وقد سأل من أفقه من رأيت -؟ قال: ما رأيت افقه من جعفر بن محمد الصادق، لما أقدمه على المنصور فقال: يا أبا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيء له من المسائل الشداد فهيأت له أربعين مسألة.

ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه، وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور، فسلمت عليه. وأومأ إليّ فجلست، قال: ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة الق على أبي عبد الله مسائلك، فجعلت القي فيجيبني فيقول: انتم تقولون كذا واهل المدينة يقولون كذا ولا تقضي الصلاة. فكيف ويحك يقوم لها قياسك! اتق الله ولا تقس الدين برأيك[٤].

وقد احتفظ لنا التاريخ بكثير من تلك المواقف، التي كان فيها لأبي حنيفة موقف تسليم، لأنه امام امر واقع لا مجال للجدل والمناقشة، وهو يعرف الامام الصادق وخطته في مناظراته التي لا يريد بها إلا توجيه المسلمين توجيهاً صحيحاً، وكان بيته يختلط فيه اشتات الناس على اختلاف آرائهم ومبادئهم ونحلهم، وكان ميدان المعترك الفكري واسعاً في جميع الانحاء، فكان عليه السلام في ذلك العصر مرجعاً لكل مشكلة ومهمة، يقصده

طلاب الحقيقة من الانحاء القاصية ويختلف إليه أهل الجدل والنظر فيكون جوابه هو القول الفصل والحكم والعدل. وكان إذا ورد الكوفة اختلف إليه علماؤها وأحاط به فقهاؤها يسألون عما يهمهم ويستقون من فيض علمه، وهو محل تقديرهم وأكبارهم. وكان أبو حنيفة ممن يختلف إلى الامام الصادق عليه السلام ويسأله عن كثير من المسائل مع ادب واحترام ولا يخاطبه إلا بقوله: جعلت فداك يا ابن رسول الله. وقد روى أبو حنيفة عن الامام الصادق عليه السلام وحدث عنه واتصل به في المدينة مدة من الزمن، ورواياته عنه اثبتها رواة مسانيده وورد منها في كتاب الآثار لأبي يوسف. وعلى أي حال فإن لأبي حنيفة صلة مع اهل البيت عليهم السلام وكان ينتصر لهم ويؤازرهم في جميع مواقفهم. لقد ناصر زيد بن علي وساهم في الدعوة إلى الخروج معه وكان يقول: ضاها خروج زيد خروج رسول الله يوم بدر. فقيل له: لم تخلفت عنه؟ قال: حبسني عنه ودائع الناس عرضتها على ابن أبي ليلى فلم يقبل(٥).

كما أنه أزار محمد بن عبد الله بن الحسن وأخاه إبراهيم، وكان يحث الناس ويأمرهم بإتباعه، وجاءت إليه امرأة أيام إبراهيم فقالت: ان ابني يريد هذا الرجل وأنا امنعه، فقال: لا تمنعيه(٦) وقال أبو إسحاق الفزاري: جئت إلى أبي حنيفة فقلت له: اما اتقيت الله أفتيت أخي بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حتى قتل.

فقال: قتل أخيك حيث قتل يعدل قتله لو قتل يوم بدر وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة(٧) فكان إسحاق يبغض أبا حنيفة بعد ذلك.

ووجه أبو حنيفة إلى إبراهيم كتاباً يشير عليه ان يقصد الكوفة سراً ليعينه الزيدية وقال: ان فيها من شيعتكم يبيتون أبا جعفر فيقتلونه أو يأخذون برقبته فيأتونك به، وكان المرجئة تنكر ذلك على أبي حنيفة وتعيبه به(٨).وكان أبو حنيفة عندما يذكر محمد بن عبد الله بن الحسن بعد قتله تذرف عيناه بالدموع وفي الجملة ان ميل أبي حنيفة لأهل البيت لا خفاء عليه حتى عد من الشيعة الزيدية.

ويقول أبو زهرة - بعد البحث عن ميله وتشيعه - وننتهي من الكلام السابق ان أبا حنيفة شيعي في ميوله وآرائه في حكام عصره، أي انه يرى الخلافة في أولاد علي من فاطمة، وان الخلفاء الذين عاصروه قد اغتصبوا الأمر منهم، وكانوا لهم ظالمين(٩).

وكان أبو حنيفة يرى ان علي بن أبي طالب على الحق في قتاله لأهل الجمل وغيرهم ويتضح ذلك من أقواله في عدة مواطن منها:

انه سئل عن يوم الجمل؟ فقال: سار علي فيه بالعدل وهو أعلم المسلمين في قتال اهل البغي.

وقوله: ما قاتل أحد علياً إلا وعلي أولى بالحق منه... الخ.

وقوله: ان امير المؤمنين علياً إنما قاتل طلحة والزبير بعد ان بايعاه وخالفا[١٠].

وقال يوماً لأصحابه: أتدرون لم يبغضنا أهل الشام؟ قالوا: لا.

قال: لأنا لو شهدنا عسكر علي بن أبي طالب ومعاوية لكنا مع علي رضي الله عنه.

اتدرون لم يبغضنا اهل الحديث؟ قالوا: لا.

ثالثاً- الفقيه الشافعي في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

إن فقهاء المذاهب أنفسهم قد أخذوا عن اهل البيت، وجعلوا ذلك فخراً لهم وسبباً لنجاحهم، وكان الشافعي لا يروي إلا عن علي عليه السلام ولذلك اتهموه بالتشيع فافتخر بذلك قائلاً:

انا الشيعي في ديني وأصلي ... بمكة ثم دارى عسقلية

بأطيب مولد وأعز فخر ... وأحسن مذهب يسمو البرية[١١]

ورماه يحيى بن معين بالرفض وقال: طالعت كتابه في السير فوجدته لم يذكر إلا علي بن أبي طالب وقد أظهر الشافعي ذلك في قوله:

يا راكباً قف بالحصب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان إني رافضي

وكذلك الامام احمد كان يفضل علياً على الصحابة، وسئل يوماً عن افضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، قيل فعلي؟ قال: سألتموني

عن أصحابه وعلي نفس محمد.

إلى غير ذلك مما يطول ذكره، على انا نجد أهل المذاهب متفرقين كل يذهب إلى رجحان مذهبه وبطلان غيره، ويقيم كل فريق أدلة للغلبة والظهور على الآخر، ولسنا بصدد البحث عن ذلك، ولكن الغرض ان اخذ الشيعة عن اهل البيت انما هو لدلالة الكتاب والسنة، ويرون ضرورة للأخذ بأصول الدين وفروعه عنهم، فهم سفن النجاة وأمان الامة، وباب حطة من دخله كان من الآمنين، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وأحذ الثقلين لا يضل من تمسك بهما لا يهتدي من ضل عن أحدهما.

ونسبوا إلى الشيعة اموراً كثيرة، لا يسعنا عرضها الآن، حتى أنهم نسبوهم إلى القول بألوهية الأئمة، وهذا نهاية الحمق وغاية الجنون، وان الاعتدال في القول خير من التهور، ومن اعتدل فكره اعتدل قوله.

من اين أخذوا ذلك عن الشيعة وبأي دليل يثبتونه. نعم حملهم بغض الشيعة والتحامل على أهل البيت بأن اضافوا إلى الشيعة المخلصين طوائف الغلاة وحاولوا ربط عقائدهم بعقائد الشيعة، مع الفرق البين وعدم امكان الارتباط ولكنهم ظلموا الحقيقة، وتجرأوا على أهل البيت بنسبة الغلاة إلى اتباعهم، ربما يلزمنا التعرض لذكر موقف الأئمة من التبرؤ من هذه النسبة ومعاملة شيعة لتلك الفرق.

ولنعد إلى الحديث عن أسباب اتهام الشافعي بالرفض. لما يلي: -

١- كان الإمام الشافعي يتظاهر في مدح اهل البيت عليهم السلام مما يدل على نزعته وميوله إلى التشيع - كما ذكروا - وإنها لتشعر بكل صراحة على ذلك، فهو يعلن تمسكه بآل محمد ويقول:

آل النبي ذريعتي ... وهموا إليه وسيلتي

أرجو بأن اعطى غداً ... بيدي اليمين صحيفتي

واشتهر عنه قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكموا ... فرض من الله في القرآن انزله

يكفيكموا من عظيم الذكر انكموا　　من لم يصل عليكم لا صلاة له

ويوضح لنا الإمام الشافعي بواعث إتهامه بالرفض أو التشيع فيقول:

قالوا ترفضت قلت كلا　　ما الرفض ديني ولا اعتقادي

لكن توليت دون شك　　خير إمام وخير هادي

إن كان حب الوصي رفضاً　　فإنني ارفض العباد

فهو بإظهاره حب عي بن أبي طالب عليه السلام قد اتهم بالرفض ولشدة تظاهره بحب علي عليه السلام فقد هجاه بعض الشعراء بقوله المشهور:

يموت الشافعي وليس يدري　　علي ربه أم ربه الله

وهو لم يقتصر بحبه لعلي فقط، بل كان يوالي اهل البيت عليهم السلام ويحبهم ولا يبالي بأن يتهم بالتشيع الذي كان من أعظم التهم في عصره وقبل عصره فيقول:

يا راكباً قف بالمحصب من منى　　واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى　　فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد　　فليشهد الثقلان إني رافضي

٢- ان الشافعي قد صرح بتشيعه وجعل ذلك فخراً له فيقول:

انا الشيعي في ديني وأصلي　　بمكة ثم داري عسقلية

بأطيب مولد وأعز فخراً　　وأحسن مذهب سموا البرية[١٢]

فهو بهذه الصراحة يدل على ان تلك التهمة موجهة إليه لا محالة.

٣- لقد نص على تشيع الشافعي جماعة من المؤرخين والمحدثين فهذا يحيى ابن معين المحدث الكبير كان يقول: ان الشافعي كان شيعياً، فلما بلغ احمد ابن حنبل ذلك، وكان طبيعياً ان يسوءه هذا القول في الشافعي، فأحب ان يسأل من ابن معين عن الأدلة التي أدت إلى اتهام الشافعي بالتشيع فقال احمد لإبن معين: كيف عرفت ذلك؟

فقال يحيى: نظرت في تصنيفه في قتال اهل البغي، فرأيته قد احتج من أوله لآخره بعلي بن أبي طالب(١٣).

هذا هو سبب اتهام الشافعي أو الطعن عليه بأن كان يحتج بعلي بن أبي طالب!!

فالشافعي إذاً بمجموع هذه الأدلة قد تحققت في حقه تلك التهمة، وهي الانتساب إلى مهذب التشيع، الذي كانت الدولة وأذنابها تنظره بعين الغضب، لأن مذهب التشيع كابوس لصدور الدولة وقذى في عيونها، لعدم امتزاجه بسياستها، فهو يستقي من ينبوع أهل البيت ويأخذ بتعاليمهم. وناهيك ما لأهل البيت في قلوب المتعطشين على السيادة والاستبداد من بغض وعداء!! إذا كيف نصنع بهذا الامام العظيم، الذي اشتهر ذكره وكثرت اتباعه، مع انه متهم بانضمامه إلى جانب خصوم الدولة، فلابد من الدفاع لتبرأته من ذلك.

وقد نستلخص من هذا الاستطراد لإتهام الشافعي ولأقواله، سواء منها الصريحة أو الموهمة النتيجة التالية:

إن تشيع الشافعي كان تشيعاً بالنسبة لمجتمعه الذي اخرجته السياسة عن عقيدة الاستقامة، حيث صيّرت اكثر مسلمي ذلك الزمن اناساً يحاربون اهل البيت باليد واللسان، وقديماً قيل: (الناس على دين ملوكهم) لذلك كانت شجاعة الشافعي في إظهار حبه لعلي وآله هي السبب في وصفه بالتشيع.

أما إذا جردنا ذلك المجتمع من سيطرة الدولة، وكشفنا الستار الذي تعمل من ورائه أيدي العابثين بصفو الاخوة الإسلامية - من قبل المتدخلين في الإسلام، فإننا لا نجد هناك انساناً مسلماً يبغض اهل البيت فيما عدا الخوارج، ومن حذا حذوهم ممن لم يرفع الإسلام ترسبات الشرك والوثنية من قلبه، وما هو بمسلم بل مستسلم أو متحين لفرصة الانتقام بالمسلمين، طالما لم يكن في آل علي من يتصف بما يوجب كراهيته في المجتمع، فحبهم لا يكاد يخلو منه قلب مسلم من السنة أو الشيعة، غير ان الفرق الأساسي بين الطائفتين هو قول الشيعة بالإمام لعلي والوصاية له، وقول السنة بالشورى والخلافة وإنكار الوصاية. فالشافعي على هذا ليس شيعياً، وإنما هو مسلم يتمسك بحب أهل البيت ولا يناصبهم العداء، شأن اهل زمانه من السنة.

وان نظرة دقيقة من القارئ إلى قول الشافعي: (ما الرفض ديني ولا اعتقادي) مع ملاحظة ان سبب تسمية الشيعة هو رفضهم للخلفاء والخلافة توقفه بوضوح، على ان الشافعي نفسه ينكر الرفض والاعتقاد به، وانه لم يزل يتمسك بمبدأ التسنن. غير انه ينكر على مجتمعه إطلاق (لفظ رافضي) على محب علي وآله، لعلمه بأن مجرد الحب لا يعني التشيع، طالما كان التشيع ملزوماً بالاعتراف لعلي بالوصاية واحقيته بالخلافة وأهليته للإمامة ولزوم اتباعه. ولهذا قال على سبيل الفرض:

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

فالشافعي لا يبالي بتلك التهمة التي وجهت إليه لأنه كان يرى أن حب آل محمد فرض على الأمة الإسلامية. يدلنا على ذلك قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكموا ... فرض من الله في القرآن انزله

وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿قُل لا أَسْئَلُكُم عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربَى﴾ وبهذا قد اتضح لنا رأي الشافعي وعرفنا نزعته، فهو محب لأهل البيت وليس بشيعي. ومما يؤيد ذلك ان الشيعة لم تدع هذه الدعوى ولم تدخله في قائمة علمائها، لأن امره واضح ومبدأه بيّن(١٤).

رابعاً- الفقيه احمد ابن حنبل في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

لقد كان المتوكل يتظاهر بالتودد لأحمد بن حنبل، وإظهار فضله، وعدم سماع أي وشاية عليه، فإن احمد لم يسلم من الاتهام بالميل للعلويين، فقد ارتأى خصومه ان يسلكوا طريقاً يمكنهم ان يغيروا قلب المتوكل بتهمة لا يغفرها المتوكل، ولا يقف دون عقابه لمن اتهم بها أي حاجز، وهي الاتهام بالتشيع أو الميل للعلويين، فأخترعوا من عند انفسهم ان احمد يبايع لعلوي، أو انه اخفى علوياً في بيته، لينالوا منه ويحولوا قلب المتوكل عنه، فأخذ المتوكل بالتحري على احمد بشدة، وطوقت المحلة التي كان يسكنها، وأحاط الجند بداره ودخلوها. فقال احمد: ما اعرف من هذا شيئاً،

وان الناظر في سيرة احمد يجد انه لا يستبعد اتهامه بما يسوء العباسيين عامة والمتوكل خاصة، فقد كان جريئاً في رواية مناقب اهل البيت، وقد روى في مسنده ما يروه كثير من

اهل المسانيد والصحاح، كما كان يظهر فضائل علي ويحدث بها.

قال عبد الله بن احمد سمعت أبي يقول: ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعي رضي الله عنه[١٥].

وقال عبد الله: قلت لأبي (احمد بن حنبل) ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان.

فقال: فعلي؟

قال: يا بني علي بن أبي طالب من اهل بيت لا يقاس بهم احد[١٦].

وقال محمد بن منصور: كنا عند احمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في هذا الحديث الذي يروي: ان علياً قال: (انا قسيم النار)؟

فقال احمد: وما تنكرون من ذا؟ أليس روينا ان النبي ﷺ قال لعلي: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا في الجنة. قال وأين المنافق؟ قلنا: في النار. قال احمد: فعلي قسيم النار.

وقال عبد الله بن احمد: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخية. فذكروا خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وخلافة علي بن أبي طالب، فزادوا واطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد اكثرتم القول في علي والخلافة، إن الخلافة لم تزين علياً بل علي زينها[١٧].

قال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازدان بالخلافة، وتممت نقيصته، وان علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى ان يتمم بالخلافة، والخلافة ذات نقص في نفسها، فتمم نقصها في ولايته إياها[١٨].

ولما سأله إسحق بن إبراهيم - عن القرآن وأنه ليس بمخلوق - عمن تحكي انه ليس بمخلوق؟ فقال جعفر بن محمد الصادق قال: ليس بخالق ولا مخلوق. فسكت اسحق[١٩].

كما أن لأحمد صلة برجال الشيعة، وقد أخذ العلم عن كثير منهم، فكانوا في عداد شيوخه واساتذته، وكذلك أخذ عن عدد وافر من العلماء الذين انتموا إلى مدرسة

الإمام الصادق عليه السلام.

وربما لامه بعض من تأثر بدعاية خصوم الشيعة على اتصاله بمن عرف بالتشيع.

يحدثنا الخطيب البغدادي: ان عبد الرحمن بن صالح الشيعي كان يغشى احمد بن حنبل، فيقربه أحمد ويدنيه، فقيل له: يا أبا عبد الله عبد الرحمن رافضي. فقال: سبحان الله؟! رجل أحب قوماً من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله نقول له لا تحبهم: هو ثقة[٢٠].

أما العلماء الذين اخذ عنهم أحمد: فقد ذكر علماء الرجال كثيراً من الشيعة انهم كانوا من شيوخ أحمد، وكذلك ذكرهم ابن الجوزي في مناقب احمد منهم:-

١- إسماعيل بن ابان الازدي أبو إسحاق الكوفي، المتوفى سنة ٢١٦ هـ وهو من شيوخ البخاري وابن معين ايضاً.

٢- إسحاق بن منصور السلوي الكوفي، المتوفى سنة ٢٠٥ هـ وقد خرّج حديثه أصحاب الصحاح الستة.

٣- تليد بن سليمان المحاربي أبو سليمان الكوفي، المتوفى سنة ١٩٠ هـ روى له الترمذي في صحيحه وقال فيه أحمد: كان مذهبه التشيع ولم أر به بأساً.

٤- الحسين بن الحسن الفزاري أبو عبد الله الأشقر الكوفي، المتوفى سنة ٢٠٨هـ خرج حديثه النسائي.

٥- خالد بن مخلد القطواني أبو الهيثم، المتوفى سنة ٢١٣ هـ كان من كبار شيوخ البخاري وخرّج حديثه في صحيحه، ومسلم والنسائي ومالك بن أنس في مسنده.

٦- سعيد بن خيثم بن رشد الهلالي أبو معمر الكوفي، المتوفى سنة ١٨٠ هـ خرّج حديثه الترمذي والنسائي وابن ماجة.

٧- عبد الله بن داوود أبو عبد الرحمن الهمداني، المتوفى سنة ٢١٢ هـ خرّج حديثه البخاري وأبو داوود والترمذي وقال فيه احمد: هو اثبت من شريك وقال ابن سعد: كان ثقة يرحل إليه.

٨- عبيد الله بن موسى العبسي أبو محمد الكوفي، المتوفى سنة ٢١٣ هـ صاحب المسند. خرج حديثه أصحاب الصحاح الستة(٢١).

التوصيات والاستنتاجات:

١- لقد سمع من الامام جعفر الصادق عليه السلام مجموعة من فقهاء مدارس اهل السنة اعتقادا منهم به باعتباره امتداد بيت النبوة وسليل الدوحة المباركة ومنهم ابو حنيفة النعمان ومالك ابن انس وسفيان الثوري وسفيان بن عينيه ويحيى بن سعيد الانصاري وابنن جوريح والقظان ومحمد بن اسحاق وشعبة ابن الحجاج وايوب السجستاني.

٢- يكاد يجمع اهل السنة والجماعة على اعتبار ان مدرسة الامام الصادق عليه السلام هي اصل كل المذاهب الفقهية الاسلامية وهي تتعبد بفقهها كافة الملل والنحل الا انهم يقفون موقفا سياسيا من امامته.

٣- لقد كان ابو حنيفة طالبا في مدرسة الامام جعفر الصادق فهو يقول لولا سنتان لهلك نعمان.

٤- لقد كان ابو حنيفة شيعيا زيديا الا ان بعض اجتهاداته مقابل الفقه الجعفري خاضعة لاعتبارات سياسية.

٥- لقد اتهم اصحاب المذاهب الاربعة بالرفض والتشيع من قبل السلطات الحاكمة وحبس بعضهم لحبهم لأهل البيت.

٦- لقد كان فقيع المالك صاحب مذهب المالكي معاصرا للامام الصادق عليه السلام واخذ من علمه وكان مقتنعا بامامته.

٧- ان بعض من الطلاب الفقهاء الاربعة ومورديهم والمتأثرين بنهجهم الفقهي اتجهوا بشكل مغاير للآراء فقهاهم الاربعة وخلاف مدرسة اهل البيت ارضاءً للحكام ومنهم ابن تيميه.

٨- لقد اتهم الشافعي بالرفض والتشيع لانه كان يجهر بحب اهل البيت علناً جهاراً نهاراً.

٩- ان اكثر ما رويت الفقهاء الاربعة هم من رواة الشيعة الجعفرية.

١٠- ان اكثر القوانين العربية والاسلامية تأخذ احكامها اليوم من فقه مدرسة الامام جعفر الصادق عليه السلام ومنها قانون الاحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل النافذ وخصوصا في ما يتعلق بالمواريث.

١١- لقد تم تعديل بعض القوانين المصرية باستلهام فقه مدرسة الامام الصادق في الالفية الثالثة الميلادية لكي تتلاءم هذه القوانين مع الحالات المستجدة المعاصرة لان مدرسة الامام جعفر الصادق اكثر حيوية ومرونة وحداثة لمطالبات الحياة الجديدة.

هوامش البحث

(١) امين الخولي، مالك بن انس، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١، ص٩٤

(٢) اسد حيدر، الامام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتاب الاسدي، بيروت لبنان، ج٤، ٢٠٠٤، ص٢٣٢.

(٣) ابن مؤيد بن احمد المكي، مناقب ابو حنيفة، مطبعة مجلس ادارة المعارف،ج٤، الهند، ١٣٢١هـ، ص٧٢.

(٤) الاصفهاني، أبي ابراهيم، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، بيروت، لبنان، دار الكتب، ج٣، ١٩٨٨،ص١٩٧.

(٥) ابن مؤيد بن احمد المكي، مناقب ابو حنيفة، مطبعة مجلس ادارة المعارف،ج٤، الهند، ١٣٢١هـ ص٥٥.

(٦) مناقب ابو حنيفة، مصدر سابق ص٨٤.

(٧) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين تحقيق احمد صقر مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنات،١٣٠٧هـ، ص٢٤٦.

(٨) مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص٢٤٧.

(٩) أبو مؤيد، مناقب ابو حنيفة، مصدر سابق ص١٦٥.

(١٠) ابو مؤيد، مناقب ابو حنيفة، مصدر سابق ص٢٤.

(١١) فخر الدين الرازي، مناقب الامام الشافعي تحقيق احمد حجازي السقا، مكتبه الكليات الأزهرية ط١، ١٩٨٦، ص٥١.

(١٢) الفخر الرازي في المناقب ص٥١.

(١٣) الفخر الرازي في المناقب، مصدر سابق ص٥١.

(١٤) فخر الدين الرازي، مناقب الامام الشافعي، مصدر سابق، ص٢٥٠

(١٥) ابن الجوزي، مناقب الامام احمد بن حنبل، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٣١، ص٢٦٠

(١٦) ابن الجوزي، المناقب، مصدر سابق،ص١٦٣.
(١٧) ابن الجوزي، المناقب، مصدر سابق،ص١٦٣.
(١٨) مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، مدرسة الامام علي ١٤٢٦ص١٧.
(١٩) ابن الجوزي، المناقب، مصدر سابق،ص٣٥٩.
(٢٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، دار العرب الاسلامي،ج١٠،٢٠٠١، ص٢٦١.
(٢١) الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص٢٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

١- اسد حيدر، الامام الصادق والمذاهب الأربعة، دار الكتاب الاسدي، بيروت لبنان، ج٤، ٢٠٠٤.

٢- امين الخولي، مالك بن انس، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١.

٣- فخر الدين الرازي، مناقب الامام الشافعي تحقيق احمد حجازي السقا، مكتبه الكليات الأزهرية ط١، ١٩٨٦.

٤- ابو الفرج محمد بن اسحاق البغدادي، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

٥- الاصفهاني، أبي ابراهيم، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، بيروت، لبنان، دار الكتب، ج٣، ١٩٨٨

٦- ابن مؤيد بن احمد المكي، مناقب ابو حنيفة، مطبعة مجلس ادارة المعارف،ج٤، الهند، ١٣٢١هـ.

٧- ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين تحقيق احمد صقر مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنات،١٣٠٧هـ

٨- ابن الجوزي، مناقب الامام احمد بن حنبل، مكتبة الخانجي مصر، ١٩٣١

٩- ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة تحقيق محمد بين حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت،٢٠١٠.

١٠- مكارم الشيرازي، شرح نهج البلاغة، مدرسة الامام علي ١٤٢٦.

١١- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، دار العرب الاسلامي،ج١٠،٢٠٠١م.